

دور فلاسفة التنوير فى قيام الثورة الفرنسية

إعداد

عوض بالقاسم على يونس

طالب دكتوراه غير مصرى – قسم الفلسفة كلية الآداب جامعة عين شمس

تحت إشراف

أ.م.د/ نشوى صلاح الدين محرم

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب - جامعة عين شمس

أ.د / محمد يحيى فرج

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة

كلية الآداب - جامعة عين شمس

مقدمه:

تعتبر الثورة الفرنسية من أهم الثورات الكبرى في التاريخ ، لأن تأثيرها لم يقتصر على فرنسا فحسب ، وإنما شمل كل أنحاء أوروبا والعالم .

الثورة الفرنسية (بالفرنسية Révolution Française) ، لقد اندلعت في الرابع عشر من يوليو (تموز) عام ١٧٨٩م ، وامتدت حتى عام ١٧٩٩م ، حيث كانت فترة من الاضطرابات الاجتماعية والسياسية ، والتي أثرت بشكل بالغ العمق على فرنسا خاصة وأوروبا عامة ، وإنهار من خلالها النظام الملكي المطلق في غضون ثلاث سنوات ، والذي كان قد حكم فرنسا لعدة قرون ، وخضع المجتمع الفرنسي لعملية تحول مع إلغاء الامتيازات الإقطاعية والارستقراطية والدينية ، وبروز الجماعات اليسارية الراديكالية إلى جانب بروز عموم الجماهير وفلاح الريفي، في تحديد مصير المجتمع، كما تم خلالها رفع ما يعرف بمبادئ التنوير، وهي المساواة والعدالة والحقوق والمواطنة والحرية والديمقراطية ومحو الأفكار التقليدية للطبقة الارستقراطية والدينية^(١)، حيث برزت فيها نظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو، الذي يعتبر منظر الثورة الفرنسية وفيلسوفها في السنوات الخمس والسبعين التالية للثورة، بالإضافة إلى أثر فولتير ومونتسكيو، وقد أثر هؤلاء جميعاً تأثيراً كبيراً على الشعب الفرنسي الذي قام بالثورة ، ولذلك نستطيع أن نعتبر أن الثورة الفرنسية وليدة فكر الأنوار ولفترة طويلة اعتبرت نموذج ثوري للشعوب ضد الطغيان والملكية الاستبدادية وأنظمة الحكم الفردي.

كذلك نجد أن هناك عدة تقلبات حدثت في الحكومة الفرنسية بين الجمهورية والدكتاتورية والدستورية والإمبراطورية ، إلا أن الثورة في حد ذاتها شكلت حدثاً مهماً في تاريخ أوروبا، وتركت نتائج واسعة النطاق من حيث التغيير والتأثير في الدول والشعوب الأوروبية، حيث كان شعارها الحرية والإخاء والمساواة ، كما استندت إلى دستور ينص على الحقوق الفردية ، وإعلان قيام دولة المؤسسات متمثلة في الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية التي نادى بها مونتسكيو، ومؤكدة على حقوق الأفراد وواجباتهم ، والحرية في الاعتقاد مستندة إلى التسامح الذي نادى به فولتير.

أن أفكار فلسفة التنوير في القرن الثامن عشر ، هي التي كانت الحافز الذي دفع الشعب الفرنسي للقيام بثورته العارمة، ولكن يجب معرفة معالم عصر التنوير، أي بمعنى ما هو عصر التنوير؟

(1) Donald Greer, the incidence of the terror during the French revolution: A statistical interetation , 1935, p:10.

يقول كانط أن التنوير هو خروج الإنسان عن مرحلة القصور العقلى وبلوغه سن الرشد ، كما عرف القصور العقلى على أنه " التبعية للآخرين وعدم القدرة على التفكير الشخصي أو السلوك فى الحياة أو اتخاذ أى قرار بدون استشارة الشخص الوصى عليه" ، ومن هنا جاءت صرخته التنويرية (اعملوا بعقولكم ايها البشر، لتكن لكم الجرأة على استخدام عقولكم ، فلا تتواكلوا بعد اليوم للكسل أو القدر والمكتوب ، تحركوا وانشطوا فى الحياة بشكل ايجابي ، فانه زودكم بالعقل وينبغي أن تستخدموه^(٢)).

أن التعريف التنويرى للعقل بعيد عن التعريف التقليدي الذى يغلبه التأمل ، هو الآن التصور التوظيفي والفني ، وإثبات صلاحيته بالنتائج العلمية التي يحققها ، أن العقلانية صالحة إذا كانت قادرة على شرح وترتيب الأحداث استناداً إلى قوانين النظام العقلاني ، كما كان عصر التنوير فى أوروبا ملهماً للعديد من الثورات الاجتماعية والسياسية وما نتج عنها من أفكار عقلانية ، حيث ارتكز قيام الدولة على وجود بيروقراطية أسفرت عن قيام دولة حديثة فى القرن الثامن عشر^(٣).

وفى فترة ما قبل الثورة الفرنسية ، نما شعور معارض للوضع الاجتماعي القائم الذى كان منافياً للعقل ومضاداً للطبيعة ، ومعرفة الوسائل الفعالة فى السياسة، والشعور بقيمة الإنتاج، ولذلك كان فى نهاية القرن الثامن عشر تركيزاً على الفكر الإنساني والإنسانية^(٤).

أن لكل إنسان ، حقوق مطلقة ، فى أى لحظة من الزمن وفى أى مكان فى العالم ، فله حقوق طبيعية معينة وجدتمعه، كحق العيش وألا يعرقل نشاطه، والدولة هي شراكة بين الأشخاص الذين يعيشون فيها ، ولذا لا بد من تنظيم جماعى ينظمهم تحت قانون ، ولذلك فإن هذه الحقوق تزودنا بحاجة الجماعة^(٥).

لذلك يجب أن يكون الناس أحراراً متساوين ، وهذا ما يجعلهم سعداء ، ولذلك تجد الثورة الفرنسية أساسها العقائدى فى حقوق الإنسان^(٦).

(٢) ف. فولفين ، فلسفة الأنوار ، ترجمة هنرييت عبودي ، مراجعة جروج طرايشي ، الطبعة الأولى ، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦)، ص ٦٠.

(٣) المرجع السابق ، ص ٦٠.

(٤) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، ترجمة عيسى عصفور ، الطبعة الأولى ، (بيروت - باريس ، منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات ، ١٩٨٢)، ص ١٣١.

(٥) المرجع السابق ، ص ١٣٢.

(٦) المرجع السابق ، ص ١٣٣.

وقد ينتج عن الثورة في نهاية المطاف معتقد ، ولكنها تنشأ في الغالب عن عوامل عقلية ، كالقضاء على ظلم فادح أو استبداد ممقوت أو ملك يبغضه الشعب ، ومع أن العقل هو أصل الثورة ، فإن الأسباب التي تُهيئها لا تؤثر في الجماعات إلا بعد تحولها إلى عواطف ، فوجد الثورة الفرنسية ترى أن المنطق العقلي الذي نادى به الفلاسفة هو الذي اظهر مساوئ النظام القديم ، وجعل في قلوب المواطنين ميلاً إلى تبديله وهذا الفكر استحوذ على الأندية والمجالس ، وان الثورة لا تصبح ذات نتائج إلا بعد هبوطها في روح الجماعة ، فالجماعة تتم الثورة ، ولا تكون مصدرها^(٧).

وإذا حاولنا أن نجد لفلسفة الثورة الفرنسية مكاناً في تطور الأفكار الفلسفية عبر التاريخ ، نرى أنها تمثل مركباً بين نظرية للحق الطبيعي ، ومبادئ حملها إليها القرن الثامن عشر، فقد سبقت فكرة الحق الطبيعي التي ظهرت لدى فلاسفة العصور الوسطى نظرية الحق الألهي حيث يجب على الجميع طاعته بما فيهم الملك والبابا والشعب، واستمرت هذه الأفكار حتى القرنين السادس عشر والسابع عشر^(٨).

لذلك تمثل الثورة الفرنسية تطور الحق الطبيعي، سواء بإبرازها مبدأ الحق العام لصالح الجميع ، وعدم قابلية حقوق الإنسان إلى أن يتنازل عنها ، ولذلك اكتسب مبدأ الحق أثناء الثورة الفرنسية معني جديداً تماماً من خلال تطبيق المبادئ في الحياة العامة^(٩).

أثر أهم فلاسفة التنوير في قيام الثورة الفرنسية:

أن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الصدد ، هو: هل هناك علاقة بين الفكر والثورات أى بين التغيير الفكرى والتغيير السياسي؟ وبمعنى آخر، هل الثورة الفكرية، هي التي تصنع الثورة السياسية ام العكس؟ هل فكر التنوير هو الذى صنع الثورة الفرنسية؟

للإجابة عن هذه التساؤلات ، يمكن توضيح ذلك من خلال، أولاً ، إجابة كلاسيكية بديهية حتمية تقول إن التنوير هو الذى صنع الثورة الفرنسية ، وبناء على ذلك تكون الثورة نتيجة والتنوير سبباً ، والإجابة الثانية، جدلية ديناميكية ، لا تنكر دور التنوير في صنع الثورة ، لكن في

(٧) غوستاف لوبون ، الثورة الفرنسية وروح الثورات ، ترجمة عادل زعيتز (لبنان ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٣) ، ص ٢٣.

(٨) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧.

(٩) المرجع السابق ، ص ٢١٢.

نفس الوقت تقول بالدور الذى لعبته الثورة الفرنسية فى تلميع وإبراز أعلامها من التنوير من الكبار^(١٠).

أن الرؤية الكلاسيكية السائدة فى كل فرنسا، ترى أنه لولا التنوير ما كانت هناك ثورة ، وأن فلسفة التنوير هي التي ولدت الثورة ، وقد ذكر ذلك المؤرخ دانييل مورنيه، فى كتابه (الأصول الفكرية للثورة)، حيث يقول، بأنه لولا الثورة الفكرية التي أحدثها فلاسفة التنوير فى العقول لما كانت الثورة الفرنسية ، فالتنوير هو الذى أوجد الثورة، وهذا ما أكدته فلاسفة ومتقفو فرنسا من خلال تفكيك دور الكنيسة الكاثوليكية وكل الأفكار المتعصبة التي كانت تبثها الكنيسة فى المجتمع ، ولولا هذا التفكيك لما كانت هناك ثورة أطاحت بالنظام الملكي الاستبدادي المطلق ، الذى كان يستمد قوته من الكنيسة ، فالتغيير لم ينجح سياسياً إلا بعد نجاحه فكرياً^(١١).

أن أصول الثورة الفكرية التي تدل عليها الأيديولوجيات ، ينبغى البحث عنها فى الفلسفة التي هيأت البرجوازية منذ القرن السابع عشر ، حيث عرض فلاسفة القرن الثامن عشر مبادئ النظام الجديد ، وهم ورثة فكر ديكارت ، الذى أظهر إمكانية السيطرة على الطبيعية بواسطة العلم ، لقد أثرت الحركة الفلسفية على العقل الفرنسي تأثيراً عميقاً ، حيث أيقظت فيه روح النقد بأفكار جديدة معارضة للكنيسة والدولة المستبدة ، فأحلت "الأنوار" فى سائر المجالات مبدأ العقل محل التسلط والتقليد ، لقد أعلنت مدام لامبر (١٦٤٧-١٧٣٣) ، أن الفلسفة هي إعادة الاعتبار للعقل ، واستعادة حقوقه ، أى إعادة كل شئ إلى مصدره الذاتي وطرح نير الرأى العام دون التسلط^(١٢).

وفى هذا المقال نتناول بالدراسة أهم الفلاسفة الذين كان لهم الدور الفاعل فى تنوير الشعب الأوروبى بصفه عامة والشعب الفرنسى بصفة خاصة فى عام ١٧٨٩م، وهم فولتير ومونتسكيو وروسو ، فى محاولة لإبراز أثرهم وأفكارهم وأطروحاتهم فى بنى الثورة ، ومبادئها ، مثل دور فولتير فى مفهوم التسامح وأثره فى الثورة الفرنسية ومذهب الحرية فى كتابات روح الشرائع لمونتسكيو ، وتأثير ذلك فى واقع الثورة وتمجيدها للعقل ، ثم نوضح أفكار روسو ومفاهيمه للإنسان الطبيعى وتوضيح دور هؤلاء الفلاسفة فى الحرية والحق والمساواة والدستور فلنتناول هؤلاء الفلاسفة بشئ من التفصيل.

أولاً: فولتير:

(10) J.M. Thompsons the French revolution (1945): N. Hampton, P: 40.

(11) Calson, Marvin , the theatre of the French revolution , Ithaca, N.Y. Cornell university press, 1966. P:30.

(١٢) ألبير سوبول ، تاريخ الثورة ، الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٤ .

فى عام ١٧٦٥م رأى فولتير أن الفيلسوف الحقيقي هو الذى ينقب الحقول البائرة ويزيد عدد المحاريت ، وبالتالى عدد السكان ، ويعمل على تشغيل الفقراء لزيادة غناهم ، ويشجع الزواج ، ويساند الأيتام ، ولا يشكو أبداً من الضرائب الضرورية ، فهو لا ينتظر من الناس شيئاً ، ويقدم لهم كل الخير الذى يستطيع فعله^(١٣)، هذه هي أذن نظرة فولتير للفيلسوف الحقيقي الذى يساهم فى بناء دولته بالأسس الصحيحة ، وعلى العلوم أن تستخدم لتنظيم الحياة الاجتماعية والثقافية، وأن ذلك الأمر تطور فى القرن الثامن عشر ، وعلى العلوم أن تعلم الإنسان ما هو خير وعادل ، ومعرفة ما هو جميل، وأن تزوده من التاريخ بالأمثلة، وأن تزلزل أوهامه ، وتفتح له آفاق جديدة ، وهذه هي نظرة الثورة الفرنسية فى مطلعها من خلال تأثرها بأفكار الفلاسفة^(١٤).

لقد هيا فولتير الموقف النقدى لرجال الثورة الفرنسية ، حيث علم الجميع كيف يفكرون، وان لا يجعلوا أحداً يظلمهم ، حيث كان يرى أن الطبقة الثالثة مثلاً هم: الفلاحون فى حقولهم، والصناع فى مصانعهم ، والعلماء فى مكاتبهم ، فكيف نقول إن الأمة هي ثلاث طبقات ، بل إن الطبقة الثالثة وحدها تؤلف أمة بكاملها حيث تتعدى هذه الطبقة وحدها عشرون مليوناً تقريباً فى فرنسا^(١٥).

وكما كان مونتسكيو يلحق رجال الدولة فى الثورة الفرنسية التدابير التشريعية التي يجب اتخاذها لضمان الحرية للمواطنين ، كذلك كان فولتير يلحق، فى عام ١٧٨٩م ، الفرنسيين كيف يتم اتخاذ موقف نقدي إزاء التقاليد القديمة ، واللجوء إلى سلاح الهدم الذى هو الجدل ، ويبيّن لهم كيف ينبغي أن يتصرفوا لجعل المعطيات المجردة محسوسة، وكيف يتساءل الإنسان عن الأشياء التي من حوله ، وكيف يكتشف المتناقضات ، إنها دعوة إلى الاستقلال الفكرى لكل إنسان، إنه عصر النور وقد جاء عهد العقل، وهذه القدرة النقدية هي العنصر الأساسى والمميز للعقل البشرى، وبذلك يكون الإنسان مستنيراً مجرداً من الأفكار المسبقة^(١٦)، إن الجدل، كما يراه فولتير، يجب أن نوجهه إلى كشف اللامعقول ، والثورة يجب أن نقف بها فى وجه الجهل، أن قدرتنا النقدية ترينا بوضوح مدى لا معقولية العقائد الدينية ، ومدى تناقض الحجج اللاهوتية ، ونعرف مدى مجانية الصواب الذى تنطوى عليه القضايا العقائدية حول النهج الذى يسير عليه

(١٣) المرجع السابق ، ص ٥٥.

(١٤) برنار غروتو زين ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٨.

(١٥) المرجع السابق ، ص ٨٠.

(١٦) المرجع السابق ، ص ٨٠-٨١.

العالم ، ويجب أن يحرر الإنسان فكره من كل قيد ، ويرى انه من الضروري التسامح بين البشر^(١٧).

وبذلك كان فولتير أحد اكبر المفكرين الذين حملوا على عاتقهم مهمة إيقاظ أوروبا عامة وفرنسا خاصة في القرن الثامن عشر ، واليه بالمشاركة مع مونتسكيو وجان جاك روسو، يُعزى ما يسمي بعصر التنوير في الفكر الأوروبي الحديث وإليهم يعود الفضل في إشعال الثورة الفرنسية^(١٨).

لقد جعل فولتير كل فرد شاعراً باستقلاله العقلي ، وكل فرد يملك في ذاته قيمة ، وفكراً خاصاً هو العقل، وسيظل دائماً هناك عاقلون وجهلة ، وهذه هي أنوار العصر لكي تبلغ أهدافها، وهي إسعاد البشر ، وأن حرية كل فرد في أن يفكر بنفسه وان يعبر عن فكره ، وهي الحرية التي اتخذتها الثورة الفرنسية شعاراً، أما الأفكار الأخرى الكبرى التي اتخذتها الثورة هي العدالة والمساواة والأخاء^(١٩).

لقد كتب فولتير عن الحرية عند الانجليز ، وكان يرى في ذلك ويقول ، أن الرجل الانجليزي يذهب إلى الجنة من الطريق الذي يختاره بمحض إرادته ، أما بالنسبة للحرية السياسية فيرى فيها أن الانجليزي هو الذي يستطيع أن يحجم سلطة الملوك فالحكام لا يحكمون إلا بالخير وفي نفس الوقت تكبل أيديهم على فعل الشر ، وكان يدعو إلى التسامح الديني بين الأديان^(٢٠)، وهنا نجد فولتير يظهر تأثره الواضح بالحكم الإنجليزي الذي انعكس على أفكاره وكتاباتة وخاصة بعد فترة نفيه إلى إنجلترا ، وأعجب بالنظام الانجليزي وخاصة في تحجيم سلطة الملوك وهي ما تسمى بالسلطة الدستورية ، التي نادى بها فيما بعد في فرنسا.

إن من المظاهر الأساسية للنشاط الفلسفي وبالأخص عند فولتير ، الحرية ، فالحرية مطلوبة في سائر الميادين ، من الحرية الفردية إلى الحرية الاقتصادية والفكرية، حيث تناولت جميع المؤلفات الكبرى في القرن الثامن عشر مشكلة الحرية ، كما شن فولتير حرباً في سبيل

(١٧) المرجع السابق ، ص ٨٥.

(١٨) د. مصطفى النشار ، فلاسفة أيقضوا العالم ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠١٥) ، ص ٣٤٠.

(١٩) برنارغوتوين، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٩٢.

(٢٠) فولتير ، الرسائل الفلسفية ، مرجع سابق ، ص ٤١-٤٢.

التسامح الديني وحرية العبادة ، وكذلك المساواة ، فقد طالب معظم الفلاسفة بالمساواة المدنية أمام القانون ، كما أكدوا على دور الدولة فى توطيد التوازن الاجتماعي^(٢١).

إن فولتير يعتبر زعيم الحركة الفلسفية دون منازع من بعد عام ١٧٦٠م ، وحتى موته ، حيث كان ينوى الوصول إلى إصلاحات فى إطار النظام المطلق وتسليم الحكم إلى البورجوازية^(٢٢)، فهو ابعد الناس عن التحليق بالأفكار المسبقة الدينية التي كانت سائدة أو التقليدية ، فهو يؤمن بأن المفكر الحر ليس له إلا معبود واحد اسمه "العقل"^(٢٣).

أن دراسات فولتير تقود إلى القول بأنه ما من أمة تحكمها قوانين صالحة ، لأن القوانين تكون خاضعة لمصلحة المشرع وليس الجموع ، وهي مصلحة وقتية ، فهي بمثل الطريقة التي بنيت بها المدن ، بلا مخطط سابق ، كما شاءت الصدفة ، وحسب حاجات البشر^(٢٤).

كما يرى فولتير ، فى قاموسه الفلسفي عام ١٧٦٤م ، فى موضوع المساواة، أن الجنس البشرى مكبل بنوع الاجتماع ، حيث لا يستطيع أن يستمر الإنسان إلا بوجود عدد كبير من الناس المفيدين ، كما يؤكد ، أن المساواة هي شئ طبيعي والأكثر خيالية فى نفس الوقت ، وكان هدف فولتير إذلال الكبار ولكنه لم ينوى على الإطلاق رفع الشعب ، من خلال المطالبة بالمساواة المدنية بين الشعب^(٢٥).

ويرى أيضاً ، أن فى كل مكان منذ تأسيس المسيحية تجد الفوضى والثورات والجرائم، ونرى المذابح نفسها والمأسى تكرر ، ولذلك على الفلاسفة ان يتحدوا ضد الكنيسة ، بأفكارها الظلامية ، وأن تعمل آلاف الأقلام ، ولتعلوا آلاف الأصوات ، حيث يقول بيغضني أن أموت قبل أن أرى طلائع العهد الجميل الذى سنتعمون به^(٢٦).

يؤكد فولتير ، أن الذين يحولون وضعهم الاجتماعي دون الانتفاع بمواهبهم الفكرية كثيرون ، ولكي ننصفهم يجب إعطاء قيمة لكل إنسان كانسان ، ولذا واجب ملح أن نتقف الشعب ، أن فولتير وروسو من حيث تأثيرهما فى الثورة الفرنسية يشتركان فى وجهة نظر أخرى ،

(٢١) ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢٢) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

(٢٣) اندرية كريسون ، فولتير ، ترجمة د. صباح فخر الدين ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، منشورات عويدات ، ١٩٨٤م) ، ص ٤٣-٤٤ .

(٢٤) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .

(٢٥) ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .

(٢٦) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .

حيث يرون أن الإنسان يحمل في ذاته كل ما يحتاج إليه للحياة، وقيمة الفلسفة في نظرهما تقوم في العلاقات بما هو إنساني ، وبذلك يولد الأمل في العهد الجديد ، عهد العقل، وبذلك يجعل الأول قيمة الإنسان في التفكير ، بينما الثاني يجعل قيمة الإنسان بما يشعر به عند ما يخلو مع نفسه ، وبذلك ظل هذان الرأيان يحدثان أثرهما في الثورة الفرنسية ، حيث يتلاقيان أحياناً ويتعارضان أحياناً أخرى ولكن الغلبة لأفكار روسو^(٢٧).

وهكذا ، نجد أن الثورة الفرنسية تتفق مع فولتير في إنكار كل ما كان وكل ما هو كائن، وفي الأمل بعهد جديد يكون فيه لكل شئ قيمة حيث يرى فولتير أن الناس المجردين من الأوهام، هم الناس المستنيرين ، وهم الفلاسفة ، وهم الذين ينبغي أن يسعوا في أى تشريع ، وأن يكون لهم دور مع الذين يحكموا الشعوب ، ولكن أولاً يجب أن يوجهوا الرأى العام^(٢٨). تلك هي النظرة التي سادت الفلاسفة حتى مطلع الثورة الفرنسية، حيث كانوا يسعون إلى تنوير الرأى العام في جميع المجالات ، ولذلك كان أثرهم واضحاً في مبادئ الثورة الفرنسية^(٢٩).

وهكذا ؛ نجد ان فولتير يدعو إلى إقامة الاستبدادية المستنيرة ، بالإضافة إلى مساندة البورجوازية ، ويمكن تلخيص أفكاره على النحو الآتي:

- يعتبر التصور السياسي في إطار نظرية الحكم تصوراً محافظاً.
- رفض بقاء السلطة في يد فئتي النبلاء والإكليروس.
- مساندة الفئة البورجوازية والتجارية منها على وجه الخصوص .
- الدعوة إلى إقامة ملكية مستنيرة.
- الدعوة إلى رفض النظام البرلماني والفصل بين السلطات^(٣٠).

لقد انتشرت الأفكار الفلسفية ، ضد الكنيسة ، وضد الاستبداد والشك في المعتقدات الكنيسية ، والتي ينبغي أن تخضع فيه الكنيسة خضوعاً تاماً للدولة ، وأن يوضح الفكر الليبرالي الاقتصادي والسياسي^(٣١) وعمت الكتب ، وانتشرت هذه الأفكار في كل الأوساط بين الناس ، حيث كثرت الصالونات والمقاهي وأعيد تنظيم الجمعيات وازداد عددها ، وانتشرت أفكار عصر

(٢٧) المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢٨) المرجع السابق ، ص ٨٩-٩٠ .

(٢٩) المرجع السابق ، ص ٩١ .

(30) Noyes (A): Voltaire Op. Cit , P: 37-38

(٣١) ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .

التنوير مثل العدالة والمساواة والأخاء والحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والتحرر الديني والتحرر من أفكار الكنيسة ، وتقييد الحاكم المطلق، بالملكية الدستورية وغيرها من الأفكار التي كانت حافزاً يحفز الشعب لينفجر بثورته العارمة.

ثانياً: مونتسكيو:

أما دور مونتسكيو في تنوير الشعب الفرنسي، فيبرز من خلال كتاباته وأفكاره وآراءه ، التي تعد من أهم الأفكار التي أثرت في أوروبا عامة وفرنسا خاصة، وخاصةً، فكرته عن الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية ، كضمان للحرية ، وكيف انعكس ذلك على الثورة الفرنسية والشعب الفرنسي.

لقد أعجب الفكر الفرنسي الحر ، بالاتجاه الإنجليزي الذي يقوم على الحرية السياسية ، وعلى فصل السلطات ، وإنكار الإستبداد والطغيان. وبعد ذهاب مونتسكيو إلى إنجلترا درس المجمع الإنجليزي ، وتعمق في اتصاله بجميع الأوساط، وأعجب بهذا النظام أيما إعجاب ، وبذلك عاد إلى فرنسا ممثلاً بالأفكار والآراء التي نشرها بعد ذلك في كتابه (عظمة وسقوط روما عام ١٧٣٤م) ، حيث كان لها التأثير الواضح على الشعب الفرنسي إبان الثورة^(٣٢).

إن مونتسكيو ، شأنه شأن رجال عصره ، كان معجباً بتنوع الصور في حياة البشر، وأن النفس تبحث دوماً عن الأشياء الجديدة ولا تهدأ أبداً ، كما أن الفكر الفلسفي يقوم على التمييز بين الأشياء^(٣٣).

ثم بعد ذلك ، في عام ١٧٤٨م ، ظهر أعظم مؤلفات العصر ، وهو "روح الشرائع" لمونتسكيو ، وكذلك "العقد الاجتماعي" لروسو في عام ١٧٦٢م ، وغير ذلك من الكتب القيمة لكثير من الفلاسفة. وبذلك تطور تياران فكريان كبيران في النصف الأول من القرن الثامن عشر ، أحدهما من وحي أقطاعي بمثله جزئياً روح الشرائع لمونتسكيو، وفيه يستمد أصحاب الامتيازات والمجالس مبرراتهم، والآخر فلسفياً معادٍ للاكليروس وأحياناً للديانة نفسها ولكنه محافظ على السياسة ، وفي النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ظهرت أفكار جديدة أكثر ديمقراطية ومساواة مع استمرار التيارين السابقين، حيث انتقل الفلاسفة من مشكلة الحكم السياسي إلى مشكلة الملكية الاجتماعية^(٣٤).

(٣٢) د. علي عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، مرجع سابق ، ص ٢٧١-٢٧٢.

(٣٣) برنار غروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٤١.

(٣٤) ألبير سوبول، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٥-٥٦.

كما أننا نجد أن مونتسكيو ناقش ، فى كتاباته ، موضوعاً ذا أهمية من حيث علاقته بالشعب ، ألا وهو موضوع القوانين ، وعلاقتها بالبشر مما كان أكبر الأثر على الثورة الفرنسية . إن القوانين، عنده ، يجب أن يكون لها تأثير فى روح الشعب ، وأن يكون للشعب قيادة ، وأن لكل شكل من أشكال الحكم أسلوباً خاصاً به ، وروحاً يجب أن تهيمن على الجميع. إن مبدأ الديمقراطية هو الفضيلة ، ومبدأ الملكية هو الشرف ، ومبدأ الاستبداد هو الخوف ، ولكى تسير الجماعات على هذه المبادئ ، ينبغي تنظيمها بالكامل لكي تسير وفق هذه المبادئ ، وأن تتوحد هذه الجماعات فى روح واحدة ، فإن جميع أجزاء الكل ينبغي أن تخضع لدافع وأحد بذاته^(٣٥) .

لقد جاهد مونتسكيو ، فى سبيل أو لفسخ العلاقة التى تربط بين النظام الملكى وبين الكنيسة ، وذلك من خلال تأكيده على ضرورة احترام القوانين. وفى الوقت الذى اعتبر فيه مفكرو العصر الوسيط أن القوانين ذات صفة غائية ومعيارية لا تمثل قواعد العمل والسلوك للحياة الاجتماعية لأنها كانت أحكاماً مثالية قبلية ، كان عصر التنوير قد أعطى القوانين صفة اجتماعية وربطها بالبيئة الطبيعية والخلقية واعتبرها ظواهر اجتماعية متغيرة حسب البيئة والمناخ ولكن الإنسان هو العنصر الفاعل فيها حسب رأى مونتسكيو.

كما رأى مونتسكيو أيضاً أن القوانين هي أساس تنظيم المجتمع وتوزيع الحقوق والواجبات بين الأفراد ، وأن القوانين هي العلاقات الضرورية التى تصدر عن طبيعة الأشياء ، وأن القوانين يجب أن تكون مطابقة لروح العصر^(٣٦) . وهذا الأمر انتهجه رجال الثورة الفرنسية فى إصدار القوانين الملائمة لمرحلة وتفنيدها كل ما يعارضها.

ولضمان الحرية السياسية ، كما يراها مونتسكيو ، لابد من الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية^(٣٧) ، لأن الجمع بينها يؤدي إلى الظلم والاستبداد ، وهذا ما تبناه الإعلان الفرنسي لحقوق إنسان غداة الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م . إن هذا المبدأ نصت عليه المادة ١٦ ، ومفادها أن "كل جماعة سياسية لا تتبنى مبدأ فصل السلطات لا يمكن أن توفر

(٣٥) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .

(36) Murrey : The spirit of laws (world's greatest literature 1900), Vol. xi. PP. xxxi- xxxii.

(37) Montesquieu: the spirit of Lawas pp. 150-154.

الضمانات الأساسية للحقوق والحريات ومن ثم فهي جماعة لا دستورية^(٣٨)، وهكذا استمر هذا التقسيم إلى أيامنا هذه.

ويرى مونتسكيو أن للدولة غرضان ، الغرض الأول الرئيسي هو حفاظ بقائها، والثاني خاص بها كالتجارة والدفاع ورد غزو البلدان .. الخ ، وأن القوانين قد تكون صالحة في أزمنة معينة وسيئة في أزمنة أخرى كما ذكرنا أنفاً ، ولكن تقاس قيمتها بمدى موافقتها لفردية الشعب الذي تطبق عليه^(٣٩).

وإذا ، ما نظرنا في الحقوق ، نجد أن مونتسكيو يجعل لكل إنسان قيمة مطلقة، أى أن لهذا الإنسان حقوقاً طبيعية بوصفه إنساناً ، أى كان موطنه في هذا العالم، وأياً كان الزمن الذي يعيش فيه. وهذه الحقوق خلقت معه منذ الخليقة نفسها ، فمن حقه أن يعيش وألا تعرقل أو تعاق تصرفاته .. الخ ، ولذلك فإن معرفة صلاحية الأعمال أو فسادها إنما يقاسوا بمدى اتفاقها أو تعارضها مع الحقوق الطبيعية للإنسان، وبذلك ينال الفرد حقه في الحرية ، وبذلك فإن الحق فوق القانون. فلا بد لكل قانون أن يقوم على الحق وأن يهدف إلى الحق. إن الدولة هي شراكة بين الأفراد حتى يتمتعوا بالحقوق الخاصة بهم ويكون هدف الجميع هو تأمينها ، فلكي نقيم دولة تتحقق فيها هذه الشروط ، لا بد لنا من تنظيم اجتماعي جماعي قائم على القوانين ، وذلك من خلال تدعيم حقوق الأفراد الطبيعية ، وبذلك نحكم على القوانين بأنها على حق أو على باطل، وإنها عادلة أو ظالمة ، من خلال ملاءمتها للحقوق ، وبذلك يكون المعيار لإقامة مجتمع هو مبادئ حقوقية مطلقة^(٤٠).

وهنا نجد مونتسكيو ، ينصب علامات الطريق لما نسميه بالحس المدني ويبرر قيمة الجماعة ويجعلها مركزاً لمشاعر الأفراد ، في حين نجد الثورة الفرنسية، ترى في حياة الشعوب أشكالاً جديدة ، ومحاولة لخلق شعب جديد سعيد من خلال تطبيق الأسس التنويرية الجديدة المتمثلة في المساواة ، والعدالة والحرية والديمقراطية والإخاء^(٤١).

وهكذا ، يرى مونتسكيو أن الحياة الاجتماعية للجماعات تحددها سلطة غير شخصية هي القوانين ، ويرى أنه لا بد أن تكون هناك سلطة فوق الجميع بما فيهم الملك نفسه ، وهي

(٣٨) د. عبد الغنى بسيوني عبد الله ، النظم السياسية ، الطبعة الأولى ، (الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ٢٠٠٠) ، ص ٢٦٤.

(٣٩) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٠-٥١.

(٤٠) المرجع السابق ، ص ٥٣.

(٤١) المرجع السابق ، ص ٥٤.

القوانين^(٤٢) ، أى أن القوانين تنظم حياة الدولة بحيث يخضع الملوك والشعب إلى القانون والشرعية ، كما أيد أيضاً مهمة التشريع ، بمقتضى الدستور المعمول به ، ولذلك فإن الثورة الفرنسية تريد أن تعرف لمن الحق فى سن القوانين؟ وما هو الأساس القانوني والحقوقى؟^(٤٣).

وهنا نجد أن الثورة الفرنسية تتجاوز مونتسكيو فى هذه الناحية ، فهي تسأل ما هي السلطة التي تسن القوانين؟

إن مونتسكيو يرى أن ذلك هو حصيلة مسيرة تاريخية ، وترجع أحياناً إلى مشروع أو حكيم ، وأحياناً إلى إحياءات شعب مجاور ، وقد تفرضها أمة غالبية على أمة مغلوبة، فتارة يكون المشرع مجلس الشيوخ ، وتارة مجلس النواب أو الشعب بكامله، حسب ما يبينه الدستور المتفق عليه ، أما فى موضوع الثورة الفرنسية فنجد أن الموضوع مختلف، فهو على العكس من ذلك تماماً، إنها تتصور أن القوانين هي من صنع الفرد أو مجموعة من الأفراد ، لأن الفرد لا يمكن إلا أن يكون مستبداً محدود الفكر ، تسيره دوافعه الشخصية ، فالإرادة العامة للجموع، هي التي يجب أن تشرع القوانين ، الكل هو الذى يجب أن يشرع لنفسه ، وهو الذى تذوب فيه الميول الخاصة ، ويخضع للمصلحة العامة، وهي الأمة ، وفى الثورة الفرنسية ما هي إلا السلطة التشريعية لسن القوانين^(٤٤). إذن هذا المنهل الذى تنهل منه الثورة الفرنسية فى سن قوانينها ، لإنشاء تنظيم اجتماعي جديد ، وإقامة دولة مؤسسة على مبادئ الحق الطبيعي ، وليس فيها شئ إلا ويرجع إلى الشعب متوافقاً مع الحقوق الطبيعية^(٤٥).

إن فكرة المجتمع ، سوف تحمل معنى جديداً فى ظل الثورة الفرنسية ، فالمجتمع هو الدولة ، والدولة هي جهاز أو هيئة من الناس توحد بينها وظائفهم ، وقد رأى مونتسكيو أن هذه الهيئات ، هي شخصيات لكل منها شروطها التي تناسبها ، أو وحدات لها حياتها الخاصة. ولكي تكون الوحدة تامة ، يجب أن يكون الحكم فى يد واحدة، وهذه النزعة الخالدة تكمل ما جاءت به الثورة الفرنسية ، فالأمة كلها متلاحمة الأجزاء ، ولا مجال لإعطاء الأفراد استقلالاً تجاه الدولة ، فلا بد للفرد من جماعة ينتمي إليها وهذا ما تحمله أيضاً فكرة جان جاك روسو ، حيث يرى أن

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٥٤-٥٥.

(٤٣) المرجع السابق ، ص ١٦٢.

(٤٤) المرجع السابق، ص ٥٥.

(٤٥) المرجع السابق ، ص ١٦٥.

الفرد عندما يدخل إلى الحياة الاجتماعية يبدأ عهدًا جديدًا، وهذا ما تسعى الثورة الفرنسية إلى التعبير عنه ، فالفرد لم يعد سوى جزءًا من الكل^(٤٦).

لقد كان تأثير مونتسكيو عظيمًا في بداية الثورة الفرنسية كما هو في آخرها ، حيث يرى أن الحرية تقوم في عدم الجمع بين السلطات كما ذكرنا سابقًا ، وهذا الأمر أصبح هدفًا مطلقًا للثورة الفرنسية بل قاعدة ، فالحرية بوصفها حقًا طبيعيًا يجب أن تكون هدف الدولة أيضًا ، وأن الحرية عنده تكون في فصل السلطات ، وبذلك أصبحت الهدف الأسمى الذي يسعى رجال الثورة الفرنسية إلى تحقيقه^(٤٧).

وهنا ، نصل إلى تلخيص أهم أفكار مونتسكيو وهي:

- أنه يدعو إلى تأسيس نظام ملكي معتدل.
- منح حقوقًا لنبله وادافع عنهم.
- وضع نظرية الفصل بين السلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية.
- جعل الحرية بمثابة سلطة للقوانين، وبذلك ركز الحرية على أنها أساس في الأمن والطمأنينة.
- جعل قيام الحرية قائمًا على أساس الفصل بين السلطات ، وذلك لضمان الحرية.

ثالثاً : جان جاك روسو:

والآن، ننتقل إلى الفيلسوف الثالث موضوع الدراسة ، والذي كان له الأثر الواضح في إشعال الثورة الفرنسية ، وإثارة حماس الشعب الفرنسي بأفكاره النيرة ، حيث يأتي عظمته ليس في فرنسا فحسب بل في العالم أجمع وذلك من خلال كتاباته وأفكاره وتأثيره، ألا وهو جان جاك روسو .

انطلق روسو ضد تيار العصر ، حيث دعم الروح الشعبية ، ففي مقاله عام ١٧٥٠م : الذى كتبه تحت عنوان (هل ساهم توطيد العلوم والفنون في تطهير الأخلاق) ، نجده ينتقد حضارة عصره بدفاعه عن الفقراء والمحرومين ، ويرى أن الترف يغذى ألف فقير في مدننا ويميت منهم مئة ألف في قرانا ، وأن أسس عدم المساواة وأصلها بين البشر عنده يهاجم بها الملكية ، ولذلك

(٤٦) المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٤٧) المرجع السابق ، ص ٥٦ .

فقد رأى فى نظريته العقد الاجتماعى سيادة الشعب من خلال (الإرادة العامة) ، فبينما كان مونتسكيو يحتفظ بالحكم الارستقراطى فى كتاباته ، وفولتير بالبرجوازية الرفيعة ، فإن روسو يحرر المساكين ويعطى الحكم للجميع ألا وهم الشعب، فهو يعطى الدولة دوراً وهدفاً هو قمع مساوى الملكية الفردية ، أما ما ينطوى عليه من استبداد أو ما ينتج عنه من استبداد، ويوطد التوازن الاجتماعى ، وهنا نجد أن نظريته فى المساواة ، كانت شيئاً جديداً فى القرن الثامن عشر فى المجالين السياسى والاجتماعى حيث ناقض فى ذلك فولتير^(٤٨).

وعلى الرغم من عيش روسو وسط الثقافة الفرنسية ، إلا أنه من جهة أخرى كان ينفر من الأوضاع الاجتماعية والسياسية التى كان يعيشها المواطنون الفرنسيون، ولذلك حاول إعطاء فكرة جديدة عن الإنسان ، من خلال إعطاء شعور للإنسان بأنه إنسان ذو قيمة^(٤٩).

لقد كان روسو إنساناً جمهورياً يتحدث عن جمهوريته ، وكان يطلق عليه فى نواذى باريس اسم "المواطن". إن جميع الفوارق الاجتماعية التى تفرق بين الناس فى باريس غير معترف بها فى جمهوريته ، إنه مولع بالمساواة ، لقد تصور روسو أن الثقافة وكل أنواع الفكر السائد، إنما هو الداء الذى من شأنه إفساد نفوس البشر^(٥٠).

ولما كان الإنسان يحمل فى ذاته قيمة ، فلا بد ان يعطى المجتمع القيم الصالحة للمواطنين ، حيث يرى روسو أن الحالة الاجتماعية مخالفة للطبيعة ، ولذلك فإن مسألة العلاقات بين الإنسان الطبيعى والإنسان الاجتماعى هي إحدى أهم المسائل التى ستطرحها فلسفة الثورة الفرنسية على نفسها ، وهكذا فإننا نجد أن هناك من لا يجد تعارضاً بينهما، فى حين يرى آخرون أن الحالة الاجتماعية هي متممة للحالة الطبيعية ، وبذلك فإن مهمة بناء مجتمع جديد يكون بإنطلاق قيم مطلقة تكون مهمة فى بنائه ، والتي يجب أن يلتصق بها الإنسان باعتباره إنساناً^(٥١).

وهكذا فإننا نجد أن روسو ، استطاع أن يلهب مشاعر الفرنسيين ، وشعب الثورة لم ينفك أن يعظمه ويحيطه بالتقدير فى جميع الأعياد الكبرى فيما بعد ، حيث اعتبر المثل الأعلى الثورى للمواطن^(٥٢).

(٤٨) ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٧.

(٤٩) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١١٧.

(٥٠) المرجع السابق ، ص ٩٨.

(٥١) المرجع السابق ، ص ١٢١.

(٥٢) المرجع السابق ، ص ١١٣.

لقد حل روسو مشكلة الحرية وعدم تسلط إنسان على آخر ، فى قضية الإرادة العامة ، حيث أن إرادة الأفراد هي جزء لا يتجزأ من الإرادة العامة^(٥٣) وأن الإنسان يجب أن يحيا إما لنفسه أو للدولة التي تمثل الإرادة العامة ، وبذلك يشعر الفرد بأنه سيد نفسه ويكون كائناً أخلاقياً ، ويقوم بواجباته ، ويجب أن يكون فى الدولة قانون أخلاقي، ونوع من العقيدة المدنية ، ومبادئ تؤسس عليها الدولة من تعاليم دينية للمواطنين. إن المؤسسات الاجتماعية الصالحة هي التي تخرج الإنسان كلياً من الحالة التي كان عليها فى حالة الطبيعة ، حيث ينتقل الإنسان من الأنا إلى الكل المشترك مع الآخرين^(٥٤).

لقد كان لأفكار جان جاك روسو، التأثير الواضح على عقلية الشعب الفرنسي أثناء الثورة من خلال تسليط الضوء حول مسألة مهمة ألا وهي الحرية التي كانت أما غائبة أو مغيبة فى فرنسا إبان النظام القديم ، الذى كان ينتهج الاستبداد من خلال الحد من حرية المواطنين. وبفضل أفكار روسو ، تم حل هذه المشكلة من خلال أفكاره عن الإرادة العامة، وبذلك فإن الثورة جعلت من أهم مبادئها الحرية ، بالإضافة إلى الإخاء والمساواة.

لقد استند روسو فى ذلك ، على أن الإنسان ولد حراً ، ولكن نراه فى أغلال من حديد كما أنه يرى الناس ليسوا كالقطيع ، ولا بد للسلطة أن تكون فى يد الشعب ليقرر مصيره دون تسلط من أحد. وعلى هذا الأساس بنى نظريته فى العقد الاجتماعي التي تقرر أن الناس جميعاً سواء من خلال الإرادة العامة لتقييم الحرية والمساواة والعدالة^(٥٥).

لقد هاجم روسو الديانة المسيحية هجوماً شديداً ، حيث دعى إلى دين مدني عقائده بسيطة تقتصر على الإيمان بوجود إله حكيم ، وحياة أخرى ، وقداسة العقد الاجتماعي ، والإيمان بالقوانين ، والتسامح ، وعدم التعصب^(٥٦)، وكان ذلك واضحاً فى انعكاس هذه الأفكار على رجال الثورة الفرنسية.

ولما كان مونتسكيو موظفاً فى القضاء فى ظل النظام القديم ، وفولتير مقرب من الملوك، وجميعهم حافظوا على أساليب مجتمع الأخيار ، وهو المجتمع الارستقراطي الذى يجب تدميره ، فإن روسو هو الرجل الذى أحبه الشعب ، على الرغم من اختلافه مع كل ما حوله ، إلا أن شعب الثورة يقول أننا الشئ الذى كان يريده ، وذلك بتحقيقنا كل ما يريده وما كان يصبو إليه ، وبذلك

(٥٣) د. على عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، مرجع سابق ، ص ٢٩٦ .

(٥٤) المرجع السابق ، ص ٣٠١ .

(٥٥) برنار غروتويزن ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .

(٥٦) د. على عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .

فقد كان الشعب على صواب إلى حد ما ، حيث كان روسو ديمقراطياً ينتمي إلى الشعب ، وأن الضيق الذي كان يشعر به هو نفس الضيق الذي كان يشعر به الشعب الباريسي^(٥٧).

ومثل هذه الأمور هي التي تؤدي بالناس إلى أن يشعرون بالسلام والوئام ويغدو الجميع أصدقاء وأخوة ، وهكذا قدم روسو نموذجين من الناس يمثل كلاهما مثلاً أعلى ، فهناك من جهة ، الإنسان الطبيعي وهو الإنسان الذي خلقتة الطبيعة الذي يحيا لذاته، ومن جهة أخرى هناك الإنسان المدني الذي تذوب فيه الأنا في الأنا الكبرى الخاصة بالجماعة وهي الدولة^(٥٨).

إن الأثر الذي أحدثه روسو في تصور الإنسان في فلسفة الثورة الفرنسية تصور أن النفس قائمة بذاتها منفصلة عن كل البشر ، وبذلك فقد أضفى قيمة جديدة للنفس وبذلك يحمل الإنسان قيمة في ذاته^(٥٩).

لقد تبنت الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩م جزءاً من نظرية روسو ، ولكنها لم تقبل القول بأن الفرد ، عندما يدخل في الحالة الاجتماعية يقوم بالتنازل عن حقوقه الطبيعية. فلا يمكن للإنسان ، في رأى بعض من رجال الثورة ، أن يتنازل عن حريته، لأن هذا الحق لا يقبل التنازل عنه. وهذا يخالف ما قال به روسو وهو أن الفرد يكتسب من إقامته في الدولة، نوعاً من الحرية وهي الحرية المدنية والعقائدية التي تقوم في إطاعة القوانين، ويرد عليه رجال الثورة بأنها حرية عجيبة، وهي حرية طاعة القوانين بعد التنازل عن حريته ، ولذلك فإن شعار الحرية هو هدف في الثورة الفرنسية، وهو أن الإنسان يعيش حراً دون قيود وهذه هي الحرية لديهم^(٦٠).

إلا أن الثورة الفرنسية ، استوحيت من فكرة العقد الاجتماعي لروسو فكرة الحكومة عن طريق الوكالة ، وذلك لتقديم مجتمعاً جديداً ، يقوم على تقديس الحقوق الطبيعية للأفراد^(٦١).

وبذلك نخلص إلى أهم أفكار روسو وهي على النحو التالي:

- طرح " روسو " تصوراً رائداً في الفكر السياسي الحديث.
- اعتمد على نقد الاستبداد بجميع أشكاله (المطلق والمستنير) .
- خالف النظريات التي كانت تؤمن بمنح الامتيازات لأي فئة من الفئات الاجتماعية.

(٥٧) برنار غروتويزن ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .

(٥٨) د. حسن شحاته سعفان ، أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية ، مرجع سابق ، ص ٢٦٧ .

(٥٩) برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .

(٦٠) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

(٦١) المرجع السابق ، ص ١٩٧ .

- دعى إلى المساواة والحرية وأيد مبدأ فصل السلطات.
- جاء روسو بنظرية للعقد الاجتماعي بصورة جديدة .
- طرح روسو تصور للعلاقة بين الأفراد والجهاز السياسي للحكم .
- اعتبر العلاقة بين الحاكم والمحكوم تكون وفق عقد اجتماعي.
- دعى إلى إقامة نظام ديمقراطي يستمد السلطة من الشعب .
- كما جعل السلطة التشريعية فى يد الشعب ، وحصر دور الحاكم فى التنفيذ والمحافظة على الحريات.

الخاتمة:

وهكذا نصل مما سبق إلى أن هناك تأثيرًا واضحًا على الشعب الفرنسي من قبل فلاسفة عصر التنوير السالف ذكرهم ، وبذلك حققت الثورة نتائج مختلفة كثيرة.

نتائج الثورة الفرنسية:

لقد كانت هناك عدة نتائج للثورة الفرنسية على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي:

- **النتائج السياسية:** استبدل النظام الجمهوري، الملكية المطلقة، وأقر فصل السلطات، وفصل الدين عن الدولة والمساواة والحرية والعدالة أساساً للتعبير.
- **النتائج الاقتصادية:** تم القضاء على النظام القديم وفتح مجال التطور الاقتصادي، الرأسمالي وتحرير التجارة والاقتصاد من رقابة الدولة، وحذف الحواجز الجمركية، الداخلية واعتماد المكابيل والمعايير الموحدة.
- **النتائج الاجتماعية:** تم إلغاء الحقوق الإقطاعية وامتيازات النبلاء ورجال الدين ، ومصادرة، أملاك الكنيسة، كما أقرت الثورة مجانية التعليم ، والعدالة الاجتماعية، وتوحيد اللغة الفرنسية.

كما أكد ذلك إعلان مبادئ حقوق الإنسان في ٢٦ أغسطس ١٧٨٩م الذي ينص على:

- ١- يولد الناس ويعيشون أحراراً متساويين في الحقوق لا تمييز ولا تفضيل بينهم إلا فيما تقتضيه المصلحة العامة.
- ٢- هذه الحقوق هي الحرية والملكية والأمن ومقاومة الظلم.
- ٣- أن الأمة مبدأ كل سيادة ، وأصل كل سلطة.
- ٤- أن القانون هو مظهر الإرادة العامة ، ولأهل البلاد حق المشاركة في وضعه، والناس سواء أمام القانون.
- ٥- لا يصح اتهام إنسان أو حبسه أو إلقاء القبض عليه إلا وفقاً للقانون.
- ٦- حرية الرأي والفكر من حقوق الإنسان المقدسة بشرط لا يساد استعمالها.
- ٧- السلطة العمومية منشأة لمصلحة الجموع.
- ٨- المساواة في الضرائب.

- ٩- تقرير الضرائب بواسطة أهل البلاد أو نوابها.
 - ١٠- حق الهيئة الاجتماعية فى محاسبة كل موظف عمومي ومراقبته .
 - ١١- الفصل بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية لضمان الحرية^(٦٢).
- هذه المبادئ الأساسية التي بنى عليها الدستور الذي يدعو إلى إعادة بناء الدولة، وهي الخلاصة لفلسفة القرن الثامن عشر، وقاعدة لجميع دساتير العالم الحديث.

(٦٢) محمد صبرى ، الثورة الفرنسية ونابليون ، مرجع سابق ، ص ٤٨ .

المراجع

1. Donald Greer, the incidence of the terror during the French revolution: A statistical interetation , 1935, p:10.
٢. ف. فولفين، فلسفة الأنوار ، ترجمة هنرييت عبودي ، مراجعة جروج طرابيشي ، الطبعة الأولى، (بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ٢٠٠٦)، ص ٦٠.
٣. المرجع السابق، ص ٦٠.
٤. برنار غروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية ، ترجمة عيسى عصفور ، الطبعة الأولى ، (بيروت – باريس ، منشورات بحر المتوسط ومنشورات عويدات ، ١٩٨٢)، ص ١٣١.
٥. المرجع السابق ، ص ١٣٢.
٦. المرجع السابق ، ص ١٣٣.
٧. غوستاف لوبون ، الثورة الفرنسية وروح الثورات ، ترجمة عادل زعيتز (لبنان ، بيروت ، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠١٣) ، ص ٢٣.
٨. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٢٠٧.
٩. المرجع السابق ، ص ٢١٢.
10. J.M. Thompsons the French revolution (1945): N. Hampton, P: 40.
11. Calson, Marvin , the theatre of the French revolution , Ithaca, N.Y. Cornell university press, 1966. P:30.
١٢. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، ترجمة جورج كوسي ، الطبعة الرابعة ، (بيروت ، باريس ، دار عويدات ، ١٩٨٩)، ص ٥٤.
١٣. المرجع السابق ، ص ٥٥.
١٤. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٨.
١٥. المرجع السابق ، ص ٨٠.
١٦. المرجع السابق ، ص ٨٠-٨١.
١٧. المرجع السابق ، ص ٨٥.
١٨. د. مصطفى النشار ، فلاسفة أيقضوا العالم ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠١٥) ، ص ٣٤٠.
١٩. برنار غروتويزن، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٩٢.
٢٠. حسن حنفي ، القاموس الفلسفي لفولتير ، الكتاب الثاني ، الجزء الأول (القاهرة ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٠) ص ٤١-٤٢.
٢١. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٩.
٢٢. المرجع السابق ، ص ٥٦.
٢٣. اندرية كريسون ، فولتير ، ترجمة د. صباح فخر الدين ، الطبعة الثانية ، (القاهرة ، منشورات عويدات ، ١٩٨٤م)، ص ٤٣-٤٤.
٢٤. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٩.

٢٥. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٦ .
٢٦. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٦٨ .
٢٧. المرجع السابق ، ص ١٢٦ .
٢٨. المرجع السابق ، ص ٨٩-٩٠ .
٢٩. المرجع السابق ، ص ٩١ .
30. Noyes (A): Voltaire Op. Cit , P: 37-38.
٣١. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٨ .
٣٢. د. على عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، مرجع سابق ، ص ٢٧١-٢٧٢ .
٣٣. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٤١ .
٣٤. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٥-٥٦ .
٣٥. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٤٣ .
36. Murrey : The spirit of laws (world's greatest literature 1900), Vol. xi. PP. xxxi- xxxii.
37. Montesquieu: The spirit of lawas pp. 150-154.
٣٨. د. عبد الغنى بسيونى عبد الله ، النظم السياسية ، الطبعة الأولى ، (الإسكندرية ، منشأة المعارف ، ٢٠٠٠) ، ص ٢٦٤ .
٣٩. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٠-٥١ .
٤٠. المرجع السابق ، ص ٥٣ .
٤١. المرجع السابق ، ص ٥٤ .
٤٢. المرجع السابق ، ص ٥٤-٥٥ .
٤٣. المرجع السابق ، ص ١٦٢ .
٤٤. المرجع السابق ، ص ٥٥ .
٤٥. المرجع السابق ، ص ١٦٥ .
٤٦. المرجع السابق ، ص ١٧٣ .
٤٧. المرجع السابق ، ص ٥٦ .
٤٨. ألبير سوبول ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .
٤٩. برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١١٧ .
٥٠. المرجع السابق ، ص ٩٨ .
٥١. المرجع السابق ، ص ١٢١ .
٥٢. المرجع السابق ، ص ١١٣ .
٥٣. د. على عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، (الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٣) ص ٢٩٦ .

- ٥٤ . المرجع السابق ، ص ٣٠١ .
- ٥٥ . برنار غروتويزن ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ٣٨ .
- ٥٦ . د. على عبد المعطي محمد ، الفكر السياسي الغربي ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ .
- ٥٧ . برنار غروتويزن ، تاريخ الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١١٥ .
- ٥٨ . حسن شحاته سعفان ، أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية، (القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٩) ص ٢٦٧ .
- ٥٩ . برنار غروتويزن ، فلسفة الثورة الفرنسية ، مرجع سابق ، ص ١٢٠ .
- ٦٠ . المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .
- ٦١ . المرجع السابق ، ص ١٩٧ .
- ٦٢ . محمد صبرى، الثورة الفرنسية ونابليون ، الطبعة الأولى ، (القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٢٧) ، ص ٤٨ .